... نَحنُ إِخْوانُكم في الدِّين...

عن موسىٰ بن عقبة رضي الله عنه قال: ثم انصرف رسول الله ﷺ من الطائف في شوال إلىٰ الجعْرانة، وبها السّبي، وقَدِمتْ عليه وفود هوازن مسلمين فيهم تسعة نفرٍ من أشرافهم فأسلموا، وبايعوا رسول الله ﷺ علىٰ الإسلام، ثم كلّموه فيمن أُصيب، فقالوا: يا رسول الله! إن فيمن أصبتُم الأمهات، والأخوات، والعمّات، والخالات، وهُنّ مَخازي الأقوام، ونرغبُ إلىٰ الله وإليكَ يا رسول الله، وكان رحيماً جواداً كريماً، فقال: «سأطلبُ لكم ذلك، وقد وقعتِ المقاسم مواقع، فأيّ الأمرين أحبُّ إليكم؟ أطلبُ لكم السّبي، أم الأموال؟».

قالوا: خيّرتنا يا رسول الله بين الحسب وبين المال، فالحسبُ أحبُّ إلينا ولا نتكلّمُ في شاةٍ ولا بعير.

فقال رسول الله ﷺ: «أمّا الذي لبني هاشمٍ فهو لكم، وسوف أُكلّم لكم المسلمين وأشفع لكم، فكلّموهم وأظهروا إسلامكم، وقولوا: نحن إخوانكم في الدّين».

وعلّمهم التشهّد وكيف يتكلّمون، وقال لهم: «قد كنتُ استأْنيْتُ بكم بضع عشرة ليلةً».

فلما صلّىٰ رسول الله الهاجرة قاموا فاستأذنوا رسول الله ﷺ في الكلام، فأذن لهم، فتكلّم خطباؤهم فأصابوا القول، فأبلغوا فيه، ورغبوا إليهم في ردّ سَبْيهم، ثم قام رسول الله ﷺ حين فرغوا فشفع لهم وحضّ المسلمين عليه، وقال: «قد رددتُ الذي لبني هاشمٍ، والذي بيدي عليهم، فمن أحبّ منكم أن

يُعطي غير مُكرهٍ فليفعل ، ومن كره أن يُعطي ويأخذ الفداء فعَلَيَّ فداؤهم» .

فأعطىٰ الناسُ ما كان بأيديهم منهم ، إلاّ قليلاً منهم سألوا الفداء[1] .

أجل يا رسول العفو والرحمة!

لم يكن لديك ردّة الفعل علىٰ قومك ، إنما كنت الرحمة المهداة ، والسراج المنير ، وصاحب الخلق العظيم ، فصلوات الله وسلامه عليك في كل وقتٍ وحين :

وآيــة الغــار إذْ وُقّيــتَ فــي حُجــبٍ ... عن كل رجسٍ لرجس الكفر مُنتحلِ

وقال صاحبك الصّديق كيف بنا ... ونحن منهم بمرأىٰ الناظر العجلِ

فقلــتَ لا تحــزن إن الله ثــالثنــا ... وكنتَ في حُجب سترٍ منه مُنسدلِ

حامت لديكَ حمام الوحش حاسمةً ... كيــداً لكــلّ غــويّ القلــب مُحتبــلِ

عــرجْــتَ تختــرقُ السّبــع الطبــاق إلــىٰ ... مقــام زُلفــىٰ كــريــمٍ قُمــتَ فيــه عَلــي

عــن قــاب قــوسيــن أو أدنــىٰ هبطــتَ ولــم ... تستكمــلِ الليــل بيــن المــرّ والقفــلِ

* * *

(١) دلائل النبوة للإمام البيهقي : ٥/ ١٩١ .